

مسؤولية إكرام اليتيم وإصلاحه



في مسألة البرِّ، نقرأ قوله تعالى: (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ) (البقرة/ 177)، ويقول تعالى مخاطباً رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى - ماذا نضع بهم؟ وما هي مسؤوليتنا عنهم، وقد أصبحوا بلا أب يصونهم أو أمٌّ ترعاهم - قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ - عليكم أن تجعلوهم أُناساً صالحين - وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ فَارْحَمُوهُمْ - ولا تنظروا إلى الأيتام كما يُنظر إلى إنسان من الدرجة السفلى، بل خالطوهم مخالطة الأخ لأخيه - وَالَّذِي يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ - فإِ يَطَّلِعْ عَلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي يَفْسُدْ كَمَا يَطَّلِعْ عَلَى الْمُصْلِحِ - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ - لأوفعكم في المشقة - إِنَّ - الَّذِينَ يَزُولُونَ فِي الْمَسْجِدِ لِلَّهِ إِذْ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (البقرة/ 220). وورد أيضاً قوله تعالى: (وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى/ 9)، فعندما يعيش اليتيم معك، في البيت أو في المؤسسة التي ترعاه، فإنَّ عليك أن تحفظ له إنسانيته وحقه، وأن لا تقهره وتعنف في أسلوبك معه.

ويقول تعالى: (وَابْتَغُوا الْيَتَامَى - سواء كانوا ذكورا أو إناثاً - حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ - صاروا في سنِّ البلوغ - فَإِنْ آَزَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا - اختبروهم، فإذا

رأيتموهم قد أصبحوا راشدين، وأصبح باستطاعتهم إدارة أموالهم، فلا يخذعهم أو يغشهم أو يغبنهم أحد - فَادُّوْهُمْ فَاعْبُدُوا لِلَّهِ مِنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ - لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم أصبح شخصيةً متكاملةً مستقلةً راشدةً - وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِيسَارًا وَإِن يَكْفُرُوا (النِّسَاءُ / 6)، لأنَّ مالَ اليتيم أمانةً عندكم.

ويتحدث القرآن تعالى في سورة الفجر عن بعض النماذج التي تملك المال، ولكنها تبخل به عمَّن يحتاج إليه: (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْضَرُوا يَوْمَ الْمَعَادِ) * وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (الفجر / 17-18). ويقول تعالى: (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ - ادفعوا إليهم أموالهم عندما يصبحون في سنِّ الرشد - وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَةَ بِالطَّرِيقِ - بأن تبدلوا أموالهم أو أسهمهم الرابحة بعملة أو أسهم خاسرة - وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) (النِّسَاءُ / 2)، أي ذنباً كبيراً. ويقول تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - بما يصلح أمره، ويصرف في تأمين حاجاته الطبيعية - حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) (الأَنْعَامُ / 152). والقرآن تعالى يهدد من يأكل أموال الأيتام بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّا نَعْتَمِدُهُم بَطُورًا عَلَيْهِمْ وَآلِهِمْ ذَرْبًا وَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الظُّلْمَ) (النِّسَاءُ / 10). وورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا وكافل اليتيم كهاتين - جمع السبابة والوسطى - في الجنة إذا اتقى الله عز وجل»، فالذي يتكفل اليتيم ويبقى في خطئ التقوى، فإنَّه سيكون رفيق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجنة، وهذه مرتبة عظيمة، وجائزة كبرى.

لذلك علينا أن نرعى الأيتام، سواء في الشكل الفردي أو في الشكل الجماعي، وذلك بأن نرعى مؤسسات الأيتام التي ترعى حياتهم وتربيتهم وعلمهم وإنسانيتهم. وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنَّ في الجنة داراً يُقال لها دار الفرح، لا يدخلها إلا من فرح يتامى المسلمين».